الحجاج البلاغي
بلاغة شايم بيرلمان وأولبريشت تيتيكا
(البلاغة الجديدة)*

أ. موسى جمال

أستاذ مساعد بقسم علوم اللسان

كلية الآداب واللغات

جامعة الجزائر 2

ملخص:

نحاول في هذه الدراسة توضيح نظرية الحجاج البلاغي أو ما يسمّى بالبلاغة الجديدة التي أسسها كلّ من شايم بيرلمان وأولبريشت تيتيكا في كتابهما مصنف في الحجاج، والتي تعدّ –أي النظرية- محاولة لإعادة الاعتبار للبلاغة الأرسطية، وبعثا لها في ثوب جديد، وهي ضدّ للعقلانية الديكارتية التي سادت لعقود طويلة. وتختلف الحجج البلاغية عن الاستدلال الذي يجعل المخاطب ملزما بنتيجة الاستدلال. فالحجاج البلاغي هو حوار يقرب بين المتحاورين، ويترك مساحة للطرف الآخر كي يبدي حجّته.

Le but de ce document c'est de montrer la théorie de argumentation rhétorique ou (la nouvelle rhétorique) fondée par initiée par Chaïm Perelman et Olbrechts-Tyteca dans leur ouvrage écrit en 1958, **Traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique.** Cette théorie est une essai de réhabilitation de rhétorique aristotélicienne, elle est aussi contre la rationalité cartésienne qui a prévalu pendant des décennies. L'argumentation rhétorique fait rapprocher entre les interlocuteurs, et laisse la place à l'autre afin de montrer son argumentation.

تمهيد:

يستعمل البشر اللغة والكلام للتواصل فيما بينهم، غير أنّ هذه الغاية ليست هي المقصودة بصفة أكبر في جلّ خطاباتنا، فالبائع عند حديثه عن ثمن البضاعة، لا يقصد بذلك الإخبار عن الثمن فحسب، بل يسعى إلى محاولة إقناع الآخر بالشراء من عنده، فذكره للثمن هو حجة استعملها للإقناع. وكذلك كل الخطابات الإشهارية بأنواعها تسعى إلى استمالة الآخر والتأثير فيه حتى يقتنع بالمنتوج ويشتريه. وكذلك خطابات رجال السياسة سواء كانوا رؤساء أو مُنتَخبين، فإنّهم يستعملون حصيلتهم الرئاسية أو الحزبية حججا لإقناع الغير بجدوى سياستهم، ومخططهم الحزبي. ولا يسلم خطاب - تقريبا- من هذه الغاية –وهي إقناع الغير والتأثير فيه- ولو كان كلاما لصبي، فالأب لمّا يقول لابنه الماثل أمام التلفاز "اذهب إلى النوم"، فيرد عليه الابن بأنه "قد أنجز واجباته"، فهذا الكلام رغم بساطته يشتمل على حجة تجعل الأب يترك الولد يتفرج على التلفاز.

وقد تنبهت الدراسات اللغوية الحديثة إلى هذا الجانب المهم من خطاباتنا وأولته عناية كبيرة انجرّ من ورائها بروز نظريات لغوية، أهمها نظريتان: الأولى منهما تتمثّل في الحجاج البلاغي بزعامة شايم بيرلمان وأولبريشت تيتيكا في كتابهما "مصنف في الحجاج ...البلاغة الجديدة"، والثانية هي الحجاج اللغوي بزعامة أزفالد ديكرو في كتابه "الحجاج في اللغة". والأولى منهما هي التي نسعى لبيان مفهومها وتجلية غموضها.

وممن اعتنى بهذا النوع من الدراسات نجد: محمد العمري في كتابه "البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول"، وحافظ اسماعيلي علوي في كتابه الحِجَاج: مفهومه ومجالاته (دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة).

نشأة البلاغة الجديدة وأهدافها:

بعد الركود الطويل ولمدة قرون عديدة من إغفال وإهمال لبلاغة أرسطو. وبعد ظهور الدراسات اللسانية الحديثة وُجِدَت محاولات لبعث تلك البلاغة من

ركودها وسباتها. ويعتبر كتاب "مصنف في الحجاج ...البلاغة الجديدة" لبيرلمان وتيتيكا أهم محاولة لتجديد النظرية الحجاجية الأرسطية. [1]

فقد "طور بيرلمان نظريته البلاغية ضد العقلانية (الديكارتية)، وذلك بمحاولة إعطاء قابلية الصواب قيمة في مواجهة ما هو لازم، وبتوضيح أهمية الآراء بمقارنتها بالوقائع." [2]

ويهدف هذا الكتاب إلى إخراج الحجاج من دائرة الخطابة والجدل الذي بقي لفترات طويلة مرادفا للمنطق نفسه. فالباحثان عملا من ناحية أولى على تخليص الحجاج من الخطابة، التي التصقت بها تهمة المغالطة والمناورة والتلاعب بعواطف وعقول الآخرين. وكذا تخليصه من صرامة الاستدلال الذي يجعل المخاطب به في وضع ضرورة وخضوع واستلاب. فالحجاج عندهما معقولية وحرية. وهو حوار للحصول على الوفاق بين الأطراف المتحاورة، ومن أجل حصول التسليم برأي آخر بعيد عن الاعتباطية واللامعقول اللذين يطبعان الخطابة، وبعيدا عن الإلزام الذي نجده في الجدل. [3] يقول بيرلمان:"إننا لا نعتقد، عكس ما ذهب إليه أفلاطون وأرسطو وكينتيليان، وهم يحاولون أن يعثروا في البلاغة على استدلالات على شاكلة استدلالات المنطق، أن البلاغة هي مجرد شيء زائد وأقل يقينية، وأنها لا تتوجه إلا إلى السذج والجهلة. إن هناك مجالات هي مجالات الحجاج الديني، والحجاج التربوي والأخلاقي والفني والفلسفي والقانوني، حيث الحجاج هو بالضرورة خطابي. إن الاستدلالات الصائبة في المنطق الصوري لا يمكن تطبيقها في المجالات التي لا تتعلق بالأحكام الصورية الخالصة، ولا بالقضايا ذات المحتوى الذي يمكن الحسم فيه باللجوء إلى التجربة ... إن الحياة اليومية والعائلية والسياسية توفر لنا كمًّا هائلا من أمثلة الحجاج البلاغي. إذ أن أهمية هذه الأمثلة المنتمية إلى الحياة اليومية تكمن في التقارب الذي تسمح به مع الأمثلة التي يوفرها الحجاج الأكثر سموا عند الفلاسفة والقانونيين". [4]

- **ماهية الحجاج:**

يعرف بيرلمان الحجاج "بأنه دراسة التقنيات الخطابية التي تسمح بإثارة الأذهان، أو زيادة تعلقها بالأطروحات التي تعرض من أجل أن تقبلها". [5] فالحجاج في نظرهما ليس بمفهوم الخطابة القديمة التي تسعى إلى إلزام الخصم برأي ما دون ترك مجال للعقل. فهو يهتم بتلك الآليات التي هي من صميم اللغة ضمن استعمالها في مقام ما. وتعريفه هذا يتعانق مع تعريف ميشال ماييرM.Meyer "جهد إقناعي. والحجاج متجسد في كل لغة من حيث إن الخطاب يستهدف إقناع من يتوجه إليه". [6] إن بيرلمان يهمل فن الكلام مع الجمهور، ولا يهتم إلا بمنطق الحجاج بواسطة اللغة. إذ لم يعالج تقنيات التكييف (ما عدا تكييف الخطاب) فابتعد عن الموجه الحقيقي للحجاج (في الإشهار والسياسة بصفة خاصة). يتبع بيرلمان منهجا يعتمد التفكيك ويستقي معظم أمثلته من الأدب والقانون والفلسفة. ويقدم بحث الحجاج باعتباره "مفهوما مُضْعَف التحديد" –بحسب تعبير بلانشي- أي أنه محصور في سياق المنطق فقط. ومع ذلك، فإن بيرلمان قد استأنف تحليل التفاعل بين المستمع والخطيب. [7]

والغاية من الحجاج- كما يريانه- "أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجع الحجاج ما وفّق في جعل حدّة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب (إنجازه أو الإمساك عنه)، أو هو ما وُفِّق على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة". [8]

- **مفهوم الحجة:**

اقترح بيرلمان عدة تعريفات لمفهوم الحجة، فهي عنده صورة خطابية (figure du discours)، "يمكن تمييز شكلها بواسطة بنية خاصة بها [...]. إن صورة ما تكون حجاجية إذا كان استخدامها، الذي يحدث تغييرا في المنظور، يظهر عاديا بالنسبة للوضع الجديد المقترح. وعلى العكس، إذا لم تؤد الصورة إلى موافقة المتلقي؛ فإنها تكون حينئذ تجميلا أي صورة أسلوبية فقط". [9] ويقول في موضع آخر:"إذا لم تندمج الصور في داخل بلاغة ينظر إليها كفنٍّ للإقناع

والإفحام، فإنها لا تعد صورة بلاغية وتصبح محسنات تهتم فقط بشكل الخطاب".[10] ومن بين هذه الصور التي تساعد على التوحيد بين الخطاب وجمهوره وتمهّد السبيل إلى إقناعه "التعريف الخطابي"، وهو تعريف ليس القصد منه شرح كلمة، وإنما لتبرز بعض المظاهر المتعلقة بها، والتي تغيب عن ذهن السامع. مثال ذلك أن المعسكر الشيوعي كان يطلق على الرأسمالية أنها **نمر من ورق** وهو تنبيه على مدى هشاشتها، وقد يغيب هذا الفهم على بعض الناس.[11]

- **التقنيات الحجاجية (أو الأشكال الحجاجية)** Schèmes argumentatifs:

ميز بيرلمان بين أربعة تقنيات للحجاج. الأولى، يسميها بالحجج "شبه المنطقية" (quasi logique)، وهي مبنية على نموذج من الاستدلال المنطقي أو الرياضي. والثانية، الحجج القائمة على بنية الواقع، والثالثة الحجج المؤسسة لبنية الواقع. والتقنية الرابعة، تسمى الحجج القائمة على فصل المصطلحات (فرز المفاهيم).

والجدول الآتي يبين هذه التقنيات وما تحتويه من قواعد:

الفصل Procédés de dissociation	**الوصل** Procédés de liaison		
فصل المحتويات	الحجج المؤسسة لبنية الواقع Arguments qui fondent la structure du réel	الحجج القائمة على بنية الواقع Arguments basés sur la structure du réel	الحجج شبه المنطقية Argument quasi logique
الفصل	المثال النموذج المماثلة التوضيح	روابط التتابع روابط التعايش	التنافر (عدم الاتفاق) الهوية التعريف

قواعد العدل التعدية المقارنة		الكناية	

1- **الحجج شبه منطقية:**

تستمد هذه الحجج قوتها الإقناعية من مشابهتا للطرائق الشكلية والمنطقية والرياضية في البرهنة. لكنها تختلف عنها في كونها غير ملزمة، في حين أن الاستدلال المنطقي ملزم قطعيا. وذلك أنها تنتج من عملية تبسيط غير ممكنة إلا في ظروف محددة، داخل نظام معزول ومحدد. [12] والمقولة المشهورة "أصدقاء أصدقائي هم أصدقائي" هي أفضل مثال على الحجج شبه المنطقية عند بيرلمان. وتشتمل الحجج شبه المنطقية على أنواع هي:

1- 1- **التناقض وعدم الاتفاق** (Contradiction et incompatibilité):

يقصد بالتناقض Contradiction أن تكون هناك قضيتان في نطاق مشكلتين إحداهما نفي للأخرى ونقض لها. كما في المثال الآتي: "المطر ينزل ولا ينزل". في حين أن عدم الاتفاق أو عدم التنافر أو عدم التناسب –ترجمات مختلفة لـ Incompatibilité - بين ملفوظين يكون بإسقاط الملفوظين على الواقع والظروف أو المقام لترجيح إحدى القضيتين، وإقصاء الأخرى التي هي خاطئة.[13]

ذكر بيرلمان – مثالا لذلك- قول لوك (Locke) الذي هاجم المحققين قائلا "سيكون من الصعب إقناع العقلاء من الناس بأن من يقدم أخاه، بضمير مرتاح ودون أن يهتز له جفن، إلى من سيحرقه حيا، سيكون صادقا ومهموما بإنقاذ هذا الأخ من عذاب يوم القيامة". [14]

1- 2- الهوية (التماثل) والتعريف (Identité et Définition):

نجد مصطلح "Identité" قد ترجم بالهوية وترجم أيضا بالتماثل ومداره على التعريف، حيث هو تعبير عن التماثل بين المعرَّف والمعرِّف وليس المعرَّف تمام المعرِّف على الحقيقة. فقولنا:

الرجل رجل.

أو الأب يبقى دائما أبا.

وهو من قبيل تحصيل الحاصل لا تجد فيه معنى المعرِّف وهو رجل أو أبا هو نفسه معنى المعرَّف وهو الرجل والأب. ولهذا قيل عن مثل هذه القضايا أن أحد لفظيها ورد على الحقيقة والآخر على المجاز. [15]

1- 3- قاعدة العدل والتبادلية (La règle de justice et de réciprocité):

قاعدة العدل هي التي تقول "إن الكائنات المنتمية لصنف واحد يجب أن يتم معاملتا بطريقة واحدة". [16] ويمثل لهذه القاعدة بالمثال الذي تقدمه تيتيكا عن ذلك المتشرد الذي لا يفهم "كيف يمكن أن يكون التسول جنحة في مجتمع يجعل من الصدقة فضيلة". ومثال آخر هو تعبير كانتيليان:"الذي يشرف تعلمه يشرف تعليمه". [17]

1- 4- التعدية (Transitivité):

تعد التعدية خاصية شكلية نجدا في أنواع من العلاقات التي تتيح لنا أن نمر من إثبات أن العلاقة الموجودة بين أ و ب من ناحية، وبين ب و ج من ناحية أخرى هي علاقة واحدة إلى الاستنتاج أن العلاقة هي نفسا بين أ و ج. وأنواع العلاقات التي نجدها في خاصية التعدية هي علاقات التساوي والتفوّق والتضمن. [18]

ومثال على ذلك عبارة:"أصدقاء أصدقائي هم أصدقائي"، يمكن صياغتها وفق مبدأ شب رياضي:"أصداء أصدقائي هم أعدائي"، "أعداء أعدائي هم أصدقائي". [19]

1- 5- المقارنة (La comparaison):

"يقول لنا بيرلمان عن المقارنة إنها "تعتبر حجة شبه منطقية عندما لا ينتج عنها فكرة أو قياس فعلي"، ولكن عندما يكون تأثيرها الإقناعي متشكّلا "من الفكرة الضمنية التي نستطيع عند اللزوم دعم حكمها من خلال عملية تحكم". الأمر يتعلق إذا، بمقارنة فعلية، كلمة بكلمة، وليس بداية قياس أو

مثال بسيط. ولذلك يؤكد شيشرون: "إن الجريمة هي ذاتها، سواء كانت سرقة الدولة أو توزيع هبات مضادة للنظام العام". في هذه الحالة تقترب المقارنة من البحث عن الهوية، وهي صفة تتميز بها الحجة شبه المنطقية". [20]

2- الحجج القائمة على بنية الواقع:

إن كانت الحجج السابقة (شبه المنطقية) تقصد إلى صحة الموضوع بفضل ما لها من بعد عقلاني تستمدّ من علاقتها ببعض الصيغ المنطقية والرياضية فإن هذه الحجج (القائمة على بنية الواقع) تستخدم الحجج شبه المنطقية للربط بين أحكام مسلّم بها لدى السامع، وبين أحكام يسعى الخطاب إلى أن يجعلها مسلَّما بها. ويكون ذلك بإيجاد صيغة تجعل كلا من الأحكام المسلم وغير المسلم بها في كلٍّ يجمع بينهما. حيث أننا لا يمكننا التسليم بالأولى دون التسليم بالأخرى. ومن هنا وصفت بكونها حججا اتصالية أو قائمة على الاتصال. [21]

والمثال الذي ضربه بيرلمان لبوسويه (Bossuet)، عندما أراد إقناع سامعيه بأهمية خطاب الدعاة: "إن هيكل الرب، أيها المسيحيون، له مكانان مهيبان وجليلان، وأعني بذلك المذبح والمنبر (...). يوجد رابط وثيق بين هذين المكانين المقدسين (...)، وبسبب هذا الرابط الرائع، بين المنبر والمذبح، لم يخش بعض العلماء القدامى دعوة المؤمنين إلى التقرب منها بذات القدر من الإجلال". [22]

نجد أن بيرلمان قد صنف الحجج القائمة على بنية الواقع إلى صنفين، وذلك بحسب الرابط الذي يربط بين الحكمين:

2- 1- **روابط التتابع** (Liaisons de succession):

ويكون بين ظاهرة ما وبين نتائجها أو مسبباتها، وهو بدوره يتفرع إلى عدّة أنواع:

2- 1- 1- **رابط سببي**: يسمح لنا استخدام الرابط السببي ببناء حجة مستندة إلى تعاضد في بنية الواقع. ونمثل لذلك بالقول:"إن هذه الدائرة الاستخباراتية جيدة، لأن الجيش الذي تنتمي إليه قد انتصر في جميع

المعارك". [23] وعدّد بيرلمان في هذا النوع ثلاثة أضرب حسب اتجاه الذي نسلكه سواء من السبب إلى النتيجة أو العكس. والأمثلة الآتية توضح ذلك:

مثال1: اجتهد فنج. حجاج يربط بين حدثين متتابعين بواسطة رابط سببي.

مثال2: نجح لأنه اجتهد. حجاج يربط بين حدث ما وقع بسبب أحدثه وأدى إليه.

مثال3:هو يجتهد فسينجح. حجاج يرمي إلى التكهن بما سينجر عن حدث ما من نتائج. [24]

ومن حجج الروابط السببية التي راعت انتباه بيرلمان هي: الحجج البراغماتية، والتي تربط بين قيمة السبب، وبين نتائجه. ويمثل لذلك بـ:"هذه السياسة جيدة لأن نتائجها جيدة". ويتعلق الأمر هنا - كما يقول بيرلمان- بالانتقال "من قيمة مرتبطة بالثمرة إلى قيمة مرتبطة بالشجرة". [25]

2- 1- 2- **حجج التبذير (الإسراف)** (L'argument de gaspillage):

وهي تقوم على الاتصال والتتابع، ويمثل لها حسب بيرلمان:"بما أننا شرعنا في إنجاز هذا العمل وضحّينا في سبيله بما لو أعرضنا عن تمامه لكان مضيعة للمال والجهد. فإنه علينا أن نواصل إنجازه". وهذا التبرير مما يقدّمه صاحب بنك عادة لزبونه الذي أفلس، عسى أن تستقيم حاله وينجح في مشروعه. [26]

2- 1- 3- **الحجج التوجيهية (أو الاتجاه)** (L'argument de direction):

وتتجلى في التحذير من مغبّة إتباع سياسة التنازل. كقولنا: "إذا تنازلت هذه المرة وجب عليك أن تتنازل أكثر في المرة القادمة. ولا ندري أين ستقف بك سياسة التنازل هذه". أو أن نحذر من مغبّة انتشار ظاهرة ما مما يسمّى حجة الانتشار L'argument de la propagation أو العدوى L'argument de contagionمثل:"الذي تعشى أخاك تغدّاك"، أو "حبة طماطم فاسدة في الصندوق تفسده كلّه". [27]

2- 2- **روابط التواجدي أو التعايش** (Liaisons de coexistence):

ويكون بين شخص وبين أعمال أي بين الجوهر وتجلياته، ومثال ذلك: يقال عن طفل ما إنه عظيم باعتبار أن أباه فلان. [28] وفي الوقت الذي نجد فيه الرابط السابقة تختص بالحقائق ذات الطبيعة الواحدة والموجودة على نفس المستوى، نجد أن روابط التواجد تحتوي على رابط يربط بين حقائق تنتمي لمستويات غير متساوية مثل العلاقة بين الشخص وأفعاله، أو أحكامه، أو أعماله. [29]

ونجد ضمن هذه الروابط عدّة حجج:

2- 2- 1- الحجة بالصلاحية (أو السلطة) (L'argument d'autorité):

أهم حجة تغذوها هيبة المتكلم ونفوذه وسطوته، هي حجة السلطة التي تستخدم أعمال شخص أو مجموعة أشخاص أو أحكامهم حجة على صحة أطروحة ما.

وتتباين السلطة وتتعدد، فتكون تارة "الإجماع" أو "الرأي العام" أو "العلماء" أو "الفلاسفة" أو "الأنبياء"، وقد تكون هذه السلطة غير شخصية Impersonnelle مثل "الفيزياء"، أو "العقيدة" أو "الدين" أو "الكتاب المقدس". وتارة تكون بذكر أشخاص معينين على أن تكون سلطة هؤلاء الأشخاص معترفا بها عند السامعين.

وعادة لا نأتي بهذه الحجج إلا مدعِّمة وتالية لحجج أخرى، وربما نمهّد لها لقبولها لدى السامع قبل الاحتجاج بها. [30]

2- 2- 2:حجج الرابط الرمزي (La liaison symbolique):

يقوم الرابط الرمزي بالانتقال من الرمز إلى ما يرمز إليه، كالانتقال من العلم إلى الوطن، ومن الرئيس إلى الدولة، ومن المصحف إلى الله أو الدين. فما تثيره هذه الأشياء المادية من عواطف وأحاسيس يرجع إلى ما بين الرمز وما يرمز إليه من علاقة مشاركة أو تبرير. فهذه العلاقة هي التي تثير العاطفة الدينية أو الوطنية. وهو جعل لها دورا كبيرا في التأثير في النفوس.

إن العلاقة بين الرمز وما يرمز إليه هي علاقة مشاركة Rapport de participation، وحسب ما يفهم من كلام بيرلمان هي علاقة تبرير Rapport de motivation، بخلاف العلاقة الاعتباطية التي نجدها بين العلامة وما تشير إليه (بين الدال والمدلول).

ولا يكون هذا النوع من الحجج ذا تأثير إلا في من يقر ويؤمن بوجود العلاقة الترابطية بين الرمز وما يرمز إليه. إذن هو خاص بقوم ما وثقافة ما، ولا يصلح لمخاطبة جمهور عام، وهو ما يؤكّد بعده اللاعقلاني Irrationnel.[31]

3- الحجج المؤسسة لبنية الواقع:

يختلف هذا النوع من الحجاج عن سابقيه في كون روابطه غير مباشرة بين العناصر في الواقع. بمعنى أن الرابط غير موجود في الواقع مسبقا. وإنما على المتكلم أو الخطيب إنتاجه وتأسيسه. فإذا ما كان هذا الرابط غير مقنع لعدم ملاءمته، فإن المتكلم وحده يتحمل مسؤولية فشل هذا الرابط. إذ الرابط يعتبر جسرا بين العناصر التي يقبلها المتلقي والرأي المقترح. فهو يعيد بناء الأساسات للواقع بإظهاره لعلاقات لم نكن نراها بالضرورة، وبهذا المعنى يتم وصفها "كمؤسسة لبنية الواقع"، في مقابل أنواع الحجج السابقة التي تعتمد إلى واقع معترف ب كما هو.

ويفرق بيرلمان في هذا النوع من الحجج بين نوعين من الروابط: الأولى **الحالات الخاصة** ويشمل ثلاثة أنواع من الحجج (المثل، والتبيين،والنموذج). والثانية **الاستدلال بالمماثلة**، ونجد فيه نوعين من الحجج (المماثلة والكناية).[32]

3- 1- المثل (L'exemple) :

حتى يكون الاحتجاج بالمثل ذا فعالية –عند بيرلمان- لا بد وأن يكون حدثا (statut de fait)، على الأقل مؤقتا. فإذا كان المثل لا يدخل في إطار المتفق

عليه بين المتكلم والسمع، فإن آلية الحجاج هنا تكون بدون تأثير. وكذلك حجية المثل لا تؤتي أكلها إلا إذا طرح السامع من ذهنه فكرة "كل ما يطرح ليس له شبيه". [33]

ولتوضيح الاحتجاج بالمثل ضرب بيرلمان المثال الذي ذكره أرسطو من أجل الاقناع بأهمية أن يكون لليونان تجهيزات عسكرية ضد الملك **أرتاكسيركسيس الثالث** الذي يتجهز لغزو مصر. يذكر أرسطو أن **داريوس** لم يتمكن من اجتياز أوروبا قبل الاستيلاء على مصر. وعندما استولى على مصر عبر إلى أوروبا. وكذلك سيفعل **أرتاكسيركسيس الثالث** إن استولى على مصر. [34]

في مثل هذه الحالات نكون قد مررنا من حالة خاصة "**أرتاكسيركسيس الثالث**" إلى حالة خاصة أخرى " **داريوس**". وهو ما يسميه بيرلمان بالحجاج من الخاص إلى الخاص Argumentation du particulier au particulier وهي من خصائص الحوارات السقراطية. [35]

3- 2- التبيين (L'illustration):

ويترجم بالبينة أو الاستشهاد. و"لئن كانت الغاية من المثل تأسيس القاعدة فإن الاستشهاد من شأنه أن يقوّي درجة التصديق بقاعدة ما معلومة وذلك بتقديم حالات خاصة توضح القول ذا الطابع العام. وتقوّي حضور هذا القول في الذهن. وعلى هذا فإن الاستشهاد يؤتى به للتوضيح rendre clair في حين أن المثل يؤتى به للبرهنة ولتأسيس القاعدة. وعلة العموم فإن المثل يكون عادة سابقا للقاعدة في حين يكون الاستشهاد لاحقا قصد تقوية حضور الحجة وقصد جعل القاعدة المجرّدة حسية وملموسة". [36]

3- 3- النموذج (Le modèle):

النموذج هو المثال أو القدوة الذي نقترحه لأنفسنا كي نتبعه ونتأسّى به. فعندما يقول الأب لابنه: "عندما كان نابليون في سنك كان الأول في فصله". فإن الأب يقدم لابنه قدوة كنموذج حتى يقتدي به. [37]

وفي خطّ موازن للمثال أو النموذج نجد عكس النموذج L'anti-modèle. الذي يتوجب علينا عدم اتخاذه أسوة أو مثالا نقتدي به.

وقد نتفاجأ عند ذكر حجة النموذج بردّ نكون فيه مطالبين باتخاذه نموذجا أيضا. كمثال الأب الذي ذكره لابنه:" عندما كان نابليون في سنك كان الأول في فصله "، وردّ الابن عليه "وفي مثل سنك كان إمبراطورا". [38]

3- 4- المماثلة (L'analogie):

المماثلة هي تأسيس علاقة بين ما يراد الدفاع عن الموضوع (le thème)، وبين عنصر يبحث عنه في موضع آخر من الواقع (المثيل le phore)، ويكون الأخير مقبولا لدى السامع. فالعملية هنا توضيح موضوع بواسطة مثيل له. والسمة التي تميز المماثلة –حسب بيرلمان- هي أن الأمر يتعلّق "بتشابه في العلاقة" أكثر منه علاقة تشابه. [39] ولنوضحه بالمثال الآتي، وهو قول الله تعالى:

(مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإنّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت).

فعندنا: أ= المشركون

ب= أولياؤهم

ج= العنكبوت

د= بيتها

وإذا ما دققنا النظر في الآية، والعلاقة بين عناصرها نجد أنها ليست علاقة تشابه، بل تشابه علاقة. فالعلاقة بين "أ" و "ب" أي علاقة المشركين بأوليائهم في عبادتهم إياهم والاعتصام بهم تشبه علاقة "ج" بـ "د" أي علاقة العنكبوت ببيتها تبنيه وتعتصم به من المعتدي. فكما أن بيت العنكبوت لا يغني عنا شيئا ولا يحميها، فكذلك أولياء المشركين من أصنام وأنداد. يسمّي بيرلمان العنصران "أ" و "ب" الموضوع Thème ، والعنصران "ج" و"د" الحامل Phore. [40]

3- 5- الكناية أو الاستعارة (La métaphore):

قبل أن تكون الاستعارة صورة أسلوبية، فهي عند بيرلمان حجة. وذلك أنها امتداد للمماثلة، بمعنى هي تكثيف لها تعمل **بفضل الاندماج بين الموضوع والمثيل.** والمثال الذي يضربه بيرلمان للاستعارة هو عبارة أرسطو "مساء الحياة" Soir de la vie، ويقصد بها التقدّم في السن، ويراد منها الإقناع بأنها النهاية.فالمماثلة تتجلى كالآتي:

أ=التقدم في السن

ب= الحياة

ج= المساء

د= اليوم

فالتقدم في السن في الحياة يماثل المساء بالنسبة لليوم. فنجد أن العنصران "أ" و "د" ليس لهم ذكر في العبارة، واندمج العنصران الآخران "ب" و"ج" في صيغة واحدة. [41]

"إن لانصهار أطراف التمثيل بعضها في بعض صورا عدّة. وهو إذ يقرّب بين مجالاتها المختلفة يسهّل من الناحية الحجاجية حصول آثارها الإقناعية. ومن المفارقة ربما أن تكون من أكثر ضروب الاستعارة إقناعا وتأثيرا في الرأي المؤلِّفَين الاستعارات النائمة Les métaphores Endormies أو العبارات ذات المعنى الإستعاري Les expressions à sens Métaphorique والمقصود بالاستعارات النائمة الاستعارات التي تُنُوسِي أصلا المجازي فغدت من معجم المجموعة اللسانية ومأتى طاقتها الحجاجية حسب المؤلفَين مادتها التمثيلية التي يسهل على المخاطبين قبولها والتسليم بها ذلك أن هذه المادّة ليست معلومة فحسب وإنّما هي مادّة انسلكت بواسطة الكلام في التقاليد الثقافية التي لأصحابه". [42]

4- الفصل بين المصطلحات (أو المفاهيم):

كل أنواع الحجج المذكورة سلفا ترتبط بعناصر غير مترابطة في أصل وجودها، وتكون إما بانية للواقع أو مخترعة له أو موضحة له. إمّا النوع الأخير

من الحجج فيختلف عن سابقيه في كونه ينبني على وجهة نظر مختلفة. وهي فصل علاقة أولية موجودة في مفهوم (مصطلح) ما، أو عبارة ما، وتكون كوحدة مترابطة. فيتم الاحتجاج بهذا المفهوم أو العبارة عن طريق كسر هذه الوحدة، وتبيين المفاهيم المختلفة ضمنها.[43]

"إن الانفصال بين العناصر في الحجاج يقتضي وجود وحدة بينها، ومفهوم واحد لها، فهي عناصر عائدة إلى اسم واحد يعُيِّنُها وإنما وقع الفصل بينها لأسباب دعا إليها الحجاج. والحجاج القائم على كسر وحدة المفهوم بالفصل بين عناصره المتضامن بعضها مع بعض، مردّه إلى زوجٍ الظاهر/الواقع أو الحقيقة Apparence/Réalité. الظاهر هو الحد 1 والواقع هو الحدّ 2، بمعنى أن الأشياء أو الأشخاص والمعطيات كلّها يمكن أن يكون لها حدّان ظاهر زائف وواقع حقيقي".[44]

ولكي نوضح هذا النوع من الحجاج نسوق المثال الآتي:

"إنّ ملِكا لا يملك ليس ملِكا" . نجد هنا مفهوم "ملك" المعروف لدى السامع وهو المتملك لدولة ما، سواء عن طريق القوّة أو طريق الوراثة. والأصل في الملك أن يكون بيده الحل والعقد، وكل ما في مملكته خاضعون لسلطانه. فإذا وجد ملك –خاصة إذا توارث حكم أجداده- ولم يكن هو الآمر الناهي في مملكته. فنقول عنه أنه ليس ملكا. فالملك بالمفهوم الأول هو الحدّ1، وهو الظاهر ونجده زائفا، وحقيقته في الواقع هو الحدّ2.

يقول بيرلمان: "إن الفصل بين المصطلحات يحدد إعادة تشكيل عميقة نوعا ما للمعطيات المتصورة التي تستخدم كأساس للحجاج: أي أنه، في هذه الحالة، لا يقصد به قطع الحبل الموصل بين العناصر المعزولة وإنما تغيير بنية هذه العناصر ذاتها".[45]

ويتمظهر هذا النوع من الحجج في الخطابات في أشكال شتى منها:

- ظاهري/حقيقي.
- ظاهريا/ حقيقيا.

- شبه كذا Pseudo مثل شبه العلمي.
- اللّا كذا: اللاعلمي.
- غير كذا: غير مريح.
- بعض الجمل الاعتراضية: إن هذا الطالب إن صح أنه طالب.
- بعض الأفعال، مثل:يزعم يتوهّم. مثل: "زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا".
- وضع بعض الأقوال بين قوسين أو مزدوجتين، كأن نكتب: لقد كنت يوما "بطلا". [46]

هذا أهم ما جاء في كتاب "مصنف في الحجاج" لبيرلمان وتيتيكا، ونجد أن "البلاغة الجديدة تتمحور حول تحليل "تقنيات الحجاج". وهذه التقنيات يتم بسطها على محورين كبيرين: من جهة، محور الخطاب ذات، خاصة بنيات الحجاج الموضوعة موضع التنفيذ، ومن جهة أخرى، محور تأثير هذا الخطاب على المتلقّي وذلك في علاقته بقصدية منتج الخطاب. ففي الحالة الأولى تجري دراسة الحجج وتصنيفها، وفي الحالة الثانية تتم دراسة الموقف التواصلي الذي يمثل حدث الحجاج. ولقد نبه بيرلمان جيدا إلى المخاطرة التي يمكن أن يمر بها التحليل عند عزل "حلقة من الحجاج خارج السياق، وبعيدا عن الموقف الذي ترتبط فيه". [47]

هوامش البحث:

1 - الوالي محمد:مدخل إلى الحجاج: أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، مجلة عالم الفكر، ع.2، المجلد 40، اكتوبر- ديسمبر 2011.ص:33.

2 - فيليب بروتون وجيل جوتيه: تاريخ نظريات الحجاج، ترجمة:محمد صالح ناحي الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، الطبعة الأولى 2011م، ص:41.

3 - عبد الله صوله: الحجاج، أطره ومنطلقاته وتقنيات من خلال "مصنف في الحجاج"، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، ص:298.

4 - Chaim Perelman, Rhétoriques, p :99 نقلا عن "مدخل إلى الحجاج أفلاطون ،ارسطو وشايم بيرلمان" لـ: محمد الوالي، ص:34.

5 - فيليب بروتون وجيل جوتيه: تاريخ نظريات الحجاج، ص:42

6 - Meyer - Michel-logique langageet argumentation hachette-université 2émé édition paris 1982 p136.نقلا عن د. الحسن بنعبو: المنحى الحجاجي للخطاب القرآني وأثره في منهج الاستدلال الأصولي، مجلة الأحياء، العدد 26، 2007، ص: 131.

7 - ليونيل بلينجر :الآليات الحجاجية للتواصل، تر:عبد الرفيق بوركي ، مجلة علامات، العدد 21، 2004، ص: 40.

8 - Charles Perelman et L. Olbrechts-Tyteca:Traité del'argumentation ,p59 نقلا عن: الحجاج: أطر ومطلقاته وتقنيات من خلال "مصنف في الحجاج"، ص:299

9 - بيرلمان: مصنف في الحجاج، البلاغة الجديدة، ص:53، نقلا عن كتاب "تاريخ نظريات الحجاج"، ص:46.

10 - المرجع السابق.

[11] - عبد الله صوله: الحجاج: أطر ومطلقاته وتقنيات من خلال "مصنف في الحجاج"، ص:323.

[12] - فيليب بروتون وجيل جوتيه: تاريخ نظريات الحجاج، ص:47.

[13] - عبد الله صوله: الحجاج: أطر ومنطلقاته وتقنيات من خلال "مصنف في الحجاج"، ص:325.

[14] - بيرلمان: مصنف في الحجاج، ص:273. نقلا عن: تاريخ نظريات الحجاج، ص:48.

[15] - بيرلمان: مصنف في الحجاج. نقلا عن عبد الله صوله: الحجاج: أطر ومطلقاته وتقنيات من خلال "مصنف في الحجاج"، ص:327.

[16] - بيرلمان: مصنف في الحجاج، نقلا عن: تاريخ نظريات الحجاج، ص:48.

[17] - المرجع السابق.

[18] - عبد الله صوله: الحجاج: أطر ومطلقاته وتقنيات من خلال "مصنف في الحجاج"، ص:329.

[19] - فيليب بروتون وجيل جوتيه: تاريخ نظريات الحجاج، ص:49.

[20] - المرجع السابق.

[21] - عبد الله صوله: الحجاج: أطر ومطلقاته وتقنيات من خلال "مصنف في الحجاج"، ص:331.

[22] - فيليب بروتون وجيل جوتيه: تاريخ نظريات الحجاج، ص:50.

[23] - المرجع السابق.

[24] - بيرلمان: مصنف في الحجاج. نقلا عن عبد الله صوله: الحجاج: أطر ومطلقاته وتقنيات من خلال "مصنف في الحجاج"، ص:332.

[25] - فيليب بروتون وجيل جوتيه: تاريخ نظريات الحجاج، ص:50.

[26] - عبد الله صوله: الحجاج: أطر ومطلقاته وتقنيات من خلال "مصنف في الحجاج"، ص:333.

[27] - المرجع السابق.

[28] - نفسه، ص:332.

[29] - فيليب بروتون وجيل جوتيه: تاريخ نظريات الحجاج، ص:51.

[30] - عبد الله صوله: الحجاج: أطره ومطلقاته وتقنياته من خلال "مصنف في الحجاج"، ص:335.

[31] - المرجع السابق.ص:326.

[32] - فيليب بروتون وجيل جوتيه: تاريخ نظريات الحجاج، ص:52.

[33] - المرجع السابق.

[34] - نفسه، ص:53.

[35] - عبد الله صوله: الحجاج: أطر ومطلقاته وتقنيات من خلال "مصنف في الحجاج"، ص:337.

[36] - المرجع السابق.

[37] - فيليب بروتون وجيل جوتيه: تاريخ نظريات الحجاج، ص:54.

[38] - عبد الله صوله: الحجاج: أطر ومطلقاته وتقنيات من خلال "مصنف في الحجاج"، ص:338.

[39] - فيليب بروتون وجيل جوتيه: تاريخ نظريات الحجاج، ص:55.

[40] - عبد الله صوله: الحجاج: أطر ومطلقاته وتقنيات من خلال "مصنف في الحجاج"، ص:340.

[41] - فيليب بروتون وجيل جوتيه: تاريخ نظريات الحجاج، ص:57.

[42] - عبد الله صوله: الحجاج: أطر ومطلقاته وتقنيات من خلال "مصنف في الحجاج"، ص:343.

[43] - فيليب بروتون وجيل جوتيه: تاريخ نظريات الحجاج، ص:57.

[44] - عبد الله صوله: الحجاج: أطر ومطلقاته وتقنيات من خلال "مصنف في الحجاج"، ص:343.

[45] - بيرلمان: مصنف في الحجاج. نقلا عن: تاريخ نظريات الحجاج، ص:57.

[46] - عبد الله صوله: الحجاج: أطر ومطلقاته وتقنيات من خلال "مصنف في الحجاج"، ص:345.

[47] - فيليب بروتون وجيل جوتيه: تاريخ نظريات الحجاج، ص:46.

❖ هناك بلاغة أخرى تسمى بالبلاغة الحديثة و يعنى بها الأسلوبية، وهي تهتم بالشكل والتزيين، خلافا للبلاغة الجديدة التي تهتم بالإقناع.